رؤية العالم في قصيدة "العنتريات" للشاعر عبد الله عيسى لحيلح -دراسة بنيوية تكوينية-.

The Word view in the poem" Antariya" by Abdullah Issa Lahilih: A genetic structuralist study.

طالبة دكتوراه/ دلباني رميصاء
الأستاذ الدكتور/ يوسف العايب

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي (الجزائر)
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي.
dellabani-roumaissa@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2025/10/05 تاريخ القبول: 2025/10/27 تاريخ النشر: 2026/09/15

ملخص:

إن مقولة رؤية العالم من المقولات النظرية والإجرائية المركزية للبنيوية التكوينية، بل إن مؤسس المنهج لوسيان غولدمان يعتبرها المنهج نفسه، و يفسر هذا المنهج الأدب في ظل العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع، فيفعّل دور المؤلف ليكون الفاعل الجمعي الذي ينقل فكر جماعة ما ينتمي إليها إلى عمل أدبي، و يهدف هذا البحث إلى قراءة النص الشعري قراءة بنيوية تكوينية للكشف عن رؤية العالم فيه، برفع الستار عن دلالاته العميقة، وقد تناول البحث قصيدة (عنتريات) للشاعر عبد الله عيسى لحيلح، حيث اعتمدت الباحثة في دراستها على منهج البنيوية التكوينية في محاولة لسبر أغوار النص و الوقوف على رؤية الشاعر للعالم وكيف تجسدت في نصه الشعري.

ومن هنا يعنى البحث بثلاث مراحل مهمة بدأ بمرحلة الفهم أو الدراسة اللغوية للبنية الظاهرة ، ومرورا بمرحلة التفسير أو دراسة البنية الدلالية العميقة، وصولا للرؤية الكونية للشاعر التي ستكشف عن رؤية مأساوية ثورية .

الكلمات المفتاحية: البنيوية التكوينية، رؤية العالم ، البنية اللغوية ، البنية العميقة ، الرؤية المأساوية ، الرؤية الثورية.

Abstract:

The World Vision is one of the central theoretical and procedural concepts of Genetic Structuralism. In this regard، Lucien Goldmann، the method founder، sees it as the method itself. This method defines literature under the dialectical relation between literature and society; thus، it promotes the role of the author as the collective subject who transmits his group's thought into a literary work. Based on what was said، this work aims at reading the poetic text from a Genetic Structuralist perspective to reveal the World Vision in it and unveil its deep connotations. In so doing، the paper takes the poem "Antaryat" of Abdellah Aissa Lehileh as a focal point، and relies on the Genetic Structuralist method to decode the text and find out the author's World Vision and how it manifests in his poem. The paper discusses three main phases. The first is about the comprehension or the linguistic study of the apparent structure. The second is the interpretation or the study of the deep semantic structure. The last is the author's World Vision that unveils a tragic revolutionary vision.
key words*:* Genetic Structuralism، World Vision، linguistic structure، deep structure، tragic vision، revolutionary vision.

المقدمة :

يعد مصطلح رؤية العالم المحور الرئيسي الذي يدور حوله منهج البنيوية التكوينية التي خرج بها لوسيان غولدمان ،الذي يرى أن رؤية العالم هي المنهج ذاته، والبنوية التكوينية لا تسعى للبحث عن الروابط اللغوية والكشف عما بينها من علاقات في النص الإبداعي فحسب _فهذا ما تقوم به البنيوية الشكلية_ بل تتجاوز ذلك لتفسير الرابط بين النص الأدبي و الطبقة الاجتماعية التي أنتجته لأنها ترى أن النص يحمل في داخله رؤية العالم لزمرة اجتماعية يمثلها الأديب، ما يضفي طابع الجمعية على النص الأدبي، ولهذا يمكن القول أن البنيوية التكوينية هي منهج مركب بين البنيوية الشكلية والمنهج الاجتماعي، يحاول تجاوز ثغرات كل منهما، مستخدما مفهوم رؤية العالم كجسر تواصل بين النص الأدبي والطبقة الاجتماعي، بحيث أن لكل زمرة اجتماعية رؤية تعبر عنها من خلال النص الأدبي، ولا يمكن الوصول إليها إلا بعد المرور على مرحلتي الفهم والتفسير، وباختصار فإن مرحلة الفهم تمثل التحليل البنيوي للنص الأدبي بحثا عن البنية الدالة

التي تحكمه وهي مرحلة تعتمد قراءة البنية الداخلية للنص، قراءةً تقوم على أساس اللغة وكشف النسق، تلك هي الخطوة الإجرائية الأولى في عملية التحليل التي تحتاج لعملية تفسير، وهي الخطوة الثانية، حيث يتم البحث عن تفسير للبنية الدالة خارج النص عن طريق ربط النص بالزمرة الاجتماعية التي يمثلها من خلال تحديد رؤية العالم التي يعبر عنها الأديب وهي رؤية جمعية. وتهدف هذه الورقة البحثية للكشف عن رؤية العالم التي يحاول تمثيلها نص العنترية للشاعر عيسى لحيلح.

1. مرحلة الفهم : تحليل البنية السطحية للنص :

- **التعريف بالنص :** إن النص الذي نحن بصدد دراسته هو أحد النصوص التي جاءت في كتاب الشاعر عيسى لحيلح سبع معلقات للجاهلية الأخيرة وهي سبعة نصوص يعارض فيها الشاعر المعلقات الجاهلية السبعة وجاء نصنا المنشود بعنوان "العنترية" حيث يعارض الشاعر لحيلح الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد في معلقته، والمعارضات الشعرية هي أمر واسع النطاق في الشعر العربي عموما والأصل في المعارضة هو المماثلة والمحاكاة من جهة ومن جهة أخرى تقوم على الندية والتنافس، ولكن الأمر مع هذه المعارضة ليس كذلك تماما فالشاعر يعنون لنصه ولم يكن العنوان موجودا في النص الشعري القديم، وقد عنونها بالقصيدة العنترية وهو عنوان فيه من الانفتاح والتأويل الشيء الكثير، إذ ما علمنا أن معنى عنتر في لسان العرب الشجاع والعَنْتَرَةُ الشجاعة في الحرب و عنتره بالرمح طعنه وعنتر وعنترة اسمان منه[1]، فالقصيدة إذن وصفت بالشجاعة، والملاحظ أن عنوان القصيدة من حيث التركيب، جاء كلمة واحدة معرفة، فيها نسبة لعنترة العبسي، وهذه الكلمة هي المبتدأ (العنوان) الذي يحتاج إلى خبره (النص) فنجد أنفسنا أماما ثنائية (العنون\ النص) فلا يمكن فهم هذا العنوان إلا بفهم نصه وسبر أغواره.

والنص جاء في 78 بيتا، فهي من القصائد الطوال وقد جاءت قصيدة عمودية تحاكي معلقة عنترة في الروي وهو الميم المكسورة وتحاكيها بحرا وهو البحر الكامل ولأجل هذا التماثل جاءت القصيدة عمودية تقوم على البيت الشعري (صدر وعجز) .

أ- بنية البيت الشعري في المدونة :

إن الحديث عن بنية البيت الشعري في النص الشعري العمودي أمر خاض فيه النقاد العرب قديما وحديثا، وما يهمنا ها هنا هو رأي النقد المعاصر فيه فقد ركز على ارتباط أبيات النص، فالمقصود ههنا بالبيت الشعري لا علاقة له بالمفهوم الموروث عن استقلال البيت داخل النص، وذلك لأن البيت هو جزء من بنية كلية تتنامى وتنتشر لتشكل في النهاية رؤية الشاعر للعالم.

ويظهر البيت في المدونة أنه يطابق بنية البيت الشعري القديم (صدر وعجز)، حيث تتميز بنية البيت الشعري للمدونة بكونه تام من الناحية العروضية والوقفة العروضية موجودة بالفعل في كل النص بدون استثناء ولكن الوقفة النظمية والدلالية هي التي تغيب بشكل عام عن النص، وهذا لا يعني عدم وجودها، حيث يربط الشاعر بين البيت وما بعده بروابط، كاسرا بذلك وحدة البيت كبينة مستقلة، حيث يظهر هذا من خلال المظاهر اللغوية التالية :

- **استعمال واو العطف:** وهذا الاستعمال ليس بالجديد على القصيدة العربية فهو شائع قديما وحديثا وهذه الأداة تسيطر على أكثر النص، ثم تأتي أداة الربط الفاء، وندلل على هذا الاستعمال بالنموذج الآتي[2] :

بِاسْمِ الحَدَاثَةِ هَدَّمُوا وَ تَهَدَّمُوا ... وَ تَبَـــخَّرُوا وَسَـــطَ الْكَـــلاَمِ الْمُـــعْتَمِ
وَ تَوَقَّحُوا بِاسْمِ الحَدَاثَةِ ..وَيْحَهُمْ ... لَـــمْ يَبْـــقَ شَـــيْءٌ عِنْـــدَهُمْ بِمُـــحَرَّمِ
يَتَنَاقَدُونَ .. وَ مَا حَقِيقَةُ نَقْدِهِمْ ... إِلاَّ كَـــمَا يُثْنِـــي العَمِـــيُّ عَلَـــى العَمِـــيْ
وَ الإِنْتِمَاءُ بِلاَ انْتِمَاءٍ وَاضِحٍ ... وَ الشِّـعْرُ .جَـلَّ الشِّـعْرُ .لَعْقٌ بِـالفَمِ
وَ الفَحْلُ عِنِّينٌ يَنُبُّ مُشَاغِبًا ... وَ فَصِـيحُهُمْ بَهْـذِي "كَـأَعْجَمَ طَمْطَـمِ"

الملاحظ هو ربط الشاعر أبياته بحرف الواو، ويمكن الملاحظة على نطاق أكبر، وباستعمال الإحصاء أن الشاعر كرر ربط أبياته بحرف الواو 16مرة ، وأما عن الربط بالفاء فقد تكرر 6 مرات، ويتضح بهذا لنا أن واو العطف من بين المظاهر اللغوية الرابطة بين أبيات النص والموجودة بحدة.

- **تكرار وحدة لغوية:** تتوزع هذه الظاهرة اللغوية القديمة الحديثة على نطاق واسع جدا من النص، ولهذا فإن الذي يتمعن فيه فإنه سيفهم أن هذا التكرار ليس من أجل التوكيد فحسب، بل هو تكرار يخلق نوع من الربط الدلالي بين الأبيات من جهة وهو أيضا تكرار يصنع للقصيدة إيقاعا داخليا، على غرار إيقاع البحر المنظمة عليه القصيدة، ونستدل عليه بالنموذج الآتي[3] :

وَطَـنِي الَّـذِي قَـدْ أَسْـرَجَتْ أَمْجَـادُه ... ظَهْـرَ الـزَّمَانِ وَ رَائِعَـاتِ الأَنْجُـمِ
وَ تُـرَابُهُ الشُّـهَدَاءُ .. هَـلْ وَطَـنٌ سِـوَاهُ ... مِـنْ رُفَـاتِ الثَّائِـرِينَ وَ أَعْـظُمِ
وَطَنِي وَ كَـمْ أَخْـفَيْتُ عَنْـكَ مَـوَاجِعِي زمنـا ... وَ كَـمْ أَخْفَـى دُمُـوعِي مَبْسَـمِي
وَ كَـمِ احْتَرَقْـتُ وَ أَنْـتَ تَـنْعَمُ فِي الظـِّلاَلِ ... وَ فِـي الغِـلاَلِ وَ فِـي النَّعِـيمِ المُـبْهَمِ
وَ صَـبَرْتُ وَ الغَصَّـاتُ تَنْـخُرُ مِفْصَـلِي ... وَ البُـؤْسُ يَـرْقُصُ ضَـاحِكًا فِـي مَأْتَـمِي
وَطَنِي وَ أَنْـتَ تَعُـبُّ مِـنْ نَفْـطِ الصَّـحَا رَى ... لاَهِـيًا عَـنْ عِـلَّتِي وَ تَأَلُّـمِي
وَ نَسَـيْتُ أَنِّـي صَـابِرٌ وَ مُصَـابِرٌ " ... سَـمْحٌ مُخَـالَقَتِي إِذَا لَـمْ أُظْـلَمِ"
وَطَنـِي وَ لَـمَّا رَأَيْتُـكَ سَـادِرًا ... أَقْفَلْـتَ سَـمْعَكَ دُونَ رَأْيِـي المُحْكَـمِ

نلاحظ أن الشاعر يكرر وحدة لغوية هي لفظة " الوطن" يعيدها الشاعر في كل شطر من البيت أو في كل انتقال من بيت للبيت الموالي قصد ربط المعنى بين الأبيات، فنجده يصنع خيطا وهميا لغويا يربط الأبيات بمفهوم مركزي هو تلك الوحدة المكررة، حيث نجد ه يكرر لفظة " وطن" خمس مرات، فتمركزت هذه المقطوعة حول تيمة الوطن، وتشضت باقي الأبيات عن هذا المركز، حيث استدعى الشاعر قاموسا يدور حول الوطن (أمجاد، الشهداء، الثائرين...) .

- **الربط النظمي:** إن هذا النوع من الربط هو أصعب أنواع الربط وأكثرها خروجا على البنية التي اعتاد عليها الشعر التقليدي، حيث يعمد الشاعر للربط بين أبياته لا بأدوات الربط العادية بالواو أو الفاء ولا الربط بتكرار وحدة لغوية، بل الأمر أعقد من ذلك، يمكن أن نأخذ فكرة عن هذا النوع من الربط من خلال هذا النموذج اليتيم من المدونة :

سَـأَظَلُّ أَنْحَـتُ بِالأَظَافِـرِ مِـحْنَتِي ... وَ أَفُـضُّ أَغْـلاَقَ الْمَـآسِي عَـنْ فَمِـي
حَـتَّى أَصِيـحَ بِسَـادِرِينَ وَ تَائِهِيـنَ ... وَ مُـدْلِجِينَ وَرَا السَّـرَابِ وَ نُـوَّمِ..
هُـبُّوا .. فَـهَا نُـورُ النُّـبُوَّةِ دَافِـقٌ ... يَهْـدِي الغُـوَاةَ إِلَـى الْمَـصِيرِ الأَسْـلَمِ[4]

حيث ربط الشاعر البيت الأول بالثاني بالوحدة اللغوية حتى الدالة على إنتهاء الغاية التي جاءت كإجابة على الفعل الأول سأظل ، ثم يربط البيت الثالث بالبيت الثاني بالفعل " هبوا" وهو جملة مقول القول الواقعة في محل نصب مفعول به للفعل الأول الواقع في البيت الثاني "أصيح ".

إن هذا الربط بين الأجزاء في النص والتلاحم الموجود يثبت أن النص بنية واحدة دالة، و سنخضع هذه البنية للتحليل، حيث سنبدأ كما وضحنا سابقا بتحليل البنية السطحية، وسنقف أولا عند المستوى الأفقي وتحديدا عند المستوى التركيبي النحوي والدلالي بحيث سنفكك النص سطحيا

كخطوة أولى لنعيد لملمة ودمج شتات ما توصلنا إليه، لنحصل على دلالة البنية العميقة أو بتعبير غولدمان الدلالة الاجتماعية أو رؤية العالم .

ب- دراسة الزمن الداخلي\ النحوي :

إن الزمن النحوي يختلف عن أي زمن آخر، فهو يختلف عن الزمن التاريخي وعن الزمن العروضي وحتى عن الزمن الصرفي، وهذا لأن الزمن النحوي هو زمن يرتبط تماما بالسياق ولا يعرف بصيغ الفعل المعروفة (الماضي- المضارع- الأمر) بل يعرف بسياق الكلام بتوظيف القرائن الحالية (المقام) والمقامية المعنوية واللفظية المحيطة به، وهو الزمن المركب للنص من الداخل، ويوضح الجدول الآتي الأفعال الموزعة داخل النص، ونوع الزمن الذي تدل عليه وقد اعتمدنا في هذا كل من جهود الدكتور تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها و الدكتور علي جابر المنصوري في كتابه الدلالة الزمنية في الجملة العربية :

الجملة الخبرية			
نوعها	عدد الأفعال	المثبتة	المنفية
الماضي	الماضي البسيط	35	6
	الماضي البعيد المنقطع	2	
	الماضي المنتهي بالحاضر	5	
الحاضر	الحاضر	42	4
	الحاضر المقارب للوقوع	3	
المستقبل	المستقبل	15	1
	المستقبل القريب	1	
	المستقبل البعيد	1	
	المستقبل المستمر	2	

يبدو اهتمام الشاعر القوي باللحظة الحاضرة وذلك ما يؤيده استعماله لستة وأربعين فعلا دالا على الحاضر منها اثنان وأربعون للحاضر البسيط، فالشاعر عيسى لحيلح يحاول في نص تحليل وتشريح واقعه وعرضه على القارئ، في محاولة منه لرسم واقعه الثقافي والسياسي كما يراه ،حاضرا منهكا ومثقلا بالخيبات في وطن لا يشبه حاضره ماضيه أبدا، والقصيدة لم تقتصر على الزمن الحاضر، وإنما خلق لنا الشاعر سلما زمنيا بين الحاضر والماضي والمستقبل، حيث تمتزج كلها لتشكل عالما دراميا داخل النص، لكن يمكن أن نلاحظ أن الماضي وهو الزمن الأكثر حضورا بعد الحاضر حيث نلاحظ وجود اثنين وأربعين فعلا يخص الماضي باتجاهاته الزمنية، هو أيضا له علاقة بالحاضر، لأن الشاعر حين استعمل الماضي لم يكن يستبعد الحاضر ولم يكن يتحدث عن لحظة زمنية منفصلة عنه، بل كان الماضي زمنا مساعدا كثف الشاعر به تجربته الشعرية، واستطاع تعرية واقعه والتعبير بقوة أكبر عنه، فمن خلال التعبير بالماضي والحاضر، نلاحظ أن الشاعر تعمد فعل ذلك ليعمق الهوة بينهما ، فهو يرى أنّه لا الشعر ولا الوطن أصبحا كما كانا عليه، فالشعر تطفل عليه رعاة الحداثة فما عاد مثل سابق عهده عهد عنترة وأمثاله ،والوطن تكالبت عليه الأعداء فهو يسبح في دماء أبنائه، بعدما كان الوطن الثورة والوطن الأمجاد والشهداء ، فهو يتحسر على الماضي العظيم الضائع و يحزن على الحاضر المعيش العقيم، وهذا بالضبط ما يبرر بروز هذان الزمنان في النص . ولهذا فإن هذه التحولات الزمنية ليست اعتباطية ولا هي فوضوية بل هي جزء من العملية الإبداعية بل هي من صميم العمل الأدبي، فالشاعر بانتقاله بين هذه الأزمنة لا يريد إلا أن يكرس حاضره وأن يقدمه للقارئ كما يراه هو، لكن هذه الحركة الزمنية الحيوية بين الحاضر والماضي والمستقبل وتقاطعها وتمازجها، لا تنفصل عن الضمير الذي هو بدوره له دور تحفيز الفعل (الزمن)، فدراسة الضمير ستساعدنا على تحديد الذات الفاعلة المسؤولة عن الفعل .

ت- بنية الضمير:

وسنقتصر على استخلاص بنية ضمائر الشخص دون بقية الضمائر الأخرى التي تندرج ضمن مبحث الضمير في اللغة العربية، "فإن الضمائر في اللغة العربية الفصحى تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ضمائر الشخص، ضمائر الإشارة، ضمائر الموصول، وهذه الضمائر جميعا دلّت على معان صرفية عامة." [5] ولهذا سنبحث في ضمير الشخص، وبنيته، مستعينين بجهود الدكتور تمام حسان في كتابه اللغة العربية مبناها ومعناها، مع التركيز على الضمير الظاهر منفصلا كان أو متصلا، والجدول الآتي يشير لما توصلنا إليه :

ضمائر الشخص		
عددها / نوعها		
الحضور	المتكلم المفرد	52
	المتكلم الجمع	8
	المخاطب المفرد	19
	المخاطب الجمع	2
الغائب	الغائب المفرد	35
	الغائب الجمع	23

ينقسم الضمير بحسب معناه الصرفي إلى ضمائر تدل على الحضور وضمائر تدل على الغيبة أو الغياب، أما ضمائر الحضور فهي: ضميرا المتكلم المفرد والجمع وضمائر المخاطب إفرادا وجمعا، وأما ضمائر الغيبة فهي : ضمائر الغائب المفرد منها والجمع، وقد وصلنا من خلال الجدول إلى النتائج الآتية :

- وظف الشاعر عيسى لحيلح ضمير الحضور بعدد أكبر من ضمير الغياب .
- قدم ضمير المفرد على ضمير الجمع في كل من ضمائر الغياب والحضور .
- ضمير المتكلم المفرد والغائب المفرد كان له نصيب الأسد من ضمائر .

شكل ضمير الحضور البنية الأساسية في النص، ونجد أن الشاعر قد حصر هذا الضمير في التعبير عن نفسه وتأثره بما يحدث في الساحة الأدبية والسياسية حيث نلاحظ وصفه لما آل إليه حال الشعراء عصره بأنها محنته، وهو ينسب هذا لنفسه لأنه يحمل نفسه عبأ هذا الأدب، ونجده أيضا يتفاعل و يتأثر بما يحدث في وطنه من صراعات دامية و إرهاب، ويكرر بطريقة متعمدة لفظة وطني و موطني، فهو في حالة حزن عليه ولهذا فهو يربط وطنه بألفاظ تعبر عن هذه الحالة النفسية من مثل : دموعي، احترقت ،صبرت ، البؤس، علتي، تألمي. فيجمع بهذا بين حبه الشديد لوطنه وتألمه لأجله وحزنه عليه .، أما عن استعمال الشاعر لضمير الغائب فنلاحظ أنه قد أكثر من استعماله في موضعين هما :

- في حديثه عن شعراء عصره و كيف أن شعرهم لا رسالة فيه ولا انتماء .
- في حديثه عما كان عليه وطنه أيام الثورة والأمجاد.

أما شعراء عصره فقد تحدث عنهم بضمير الغائب ليؤكد بعدهم الحقيقي والمجازي عن الشعر الحقيقي وعن الأدب الحق، فالشاعر موقفه واضح من التراث الشعري و موقفه أوضح من الحداثة، أما التراث الشعري فهو يضعه موضع تقديس و رفعة و أما الحداثة فعلى يد شعراء عصره أتت بالخراب على الشعر، ومن جهة أخرى فهو يريد أن يوضح أنهم قد باعوا رسالة الشعر فلم يلتزموا بالتعبير عن واقعهم وقضاياه فشعرهم بلا رسالة، وانتماءهم لمجتمعهم ووطنهم زائف فحين كان الشعب يتألم جوعا وحسرة كانوا يكتبون شعرا للقيان، ويريد الشاعر انصرافهم عن تعبير عما هو مهم وعظيم.

أَهْـدَى القِيَـانَ قَصِـيدَةً ، وَ الشَّـعْبُ يَمْـضَغُ جُـوعَهُ فِـي حَـسْرَةٍ وَ تَـأَلُّمِ[6]

ونجد أيضا أن الشاعر كما يتحدث عن وطنه وحاله الماثل أمامه في الواقع، يتحدث عنه بصفة الغائب أيضا، وهذا لأنه يقارن بين ما كان عليه وطنه من أمجاد صنعها شهداء الثورة و كيف كانت الجزائر في عهد الثورة وما بعده قبلة للأحرار، وكيف هي اليوم غارقة بدماء أبنائها، وسياسيوها لاهين عن شعبهم وعن وطنهم بالنفط وجمع المال .

وَطَـنِي الَّـذِي قَـدْ أَسْـرَجَتْ أَمْجَـادُهُ ظَهْـرَ الـزَّمَانِ وَ رَائِعَـاتِ الأَنْجُـمِ
وَ تُـرَابُهُ الشُّـهَدَاءُ .. هَـلْ وَطَـنٌ سِـوَا هُ مِـنْ رُفَـاتِ الثَّائِـرِينَ وَ أَعْـظُمِ
وَطَنِي وَ أَنْتَ تَعُبُّ مِنْ نَفْطِ الصَّحَا رَى لاَهِـيًا عَـنْ عِـلَّتِي وَ تَأَلُّـمِي[7]

فهو يتكلم عن حال وطنه الماثل أمامه في الحاضر بضمير المتكلم، ثم يتحول للحديث عنه بضمير الغائب المفرد، وهذا ما يتوافق مع ما وجدناه في البنية السابقة .

وبهذا نقول أن نص العنترية يقدم بنية الحضور ويلتزم بها، وهي خاصيته الأساسية، وهذا لا يتعارض وما وجدناه من خلال بحثنا عن بنية الزمن النحوي ، ولا يمكن أن نختم كلامنا عن بنية الضمير دون الإشارة إلى ظاهرة بارزة في النص هي ظاهرة الالتفات والانتقال بين الضمائر، وهو ما يمكن ملاحظته بشكل واضح في التقارب النسبي بين عدد ضمائر المتكلم المفرد (52) وضمائر الغائب المفرد (35)، وظاهرة الالتفات هي ظاهرة بلاغية تعني باختصار الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر يغايره، فمثلا أن ننتقل من ضمير الغيبة إلى الحاضر ومن زمن المستقبل إل الماضي ومن التذكير إلى التأنيث وهكذا ... حيث نجد هذا جليا في كثير من أبيات الشاعر في مثل قوله :

وطـــن تداركـــه الإلـــه برحمـــة ... لا يشـــتكي الطعنـــات غيـــر تحمحـــم
أشـــلى عليـــه الحاقـــدون كلابهـــم ... ســـودا كخافيـــة الغـــراب الأســـحم
فتعـــــاوروه بمخلـــــب قـــــرم ... ونـــاب أحمـــر ألـــف الـــدماء مســـمم
فتفتحـــت أزهـــار جرحـــه كالشـــروق ... إذا تبســـم خلـــف ليـــل مظلـــم
وطني الـــذي قـــد أســـرجت أمجـــاده ... ظهـــر الزمـــان ورائعـــات الأنجـــم
وترابـــه الشـــهداء ...هـــل وطـــن ســـواه ... مـــن رفـــات الثـــائرين وأعظـــم

فنجد الشاعر في هذا المقطع ينتقل من ضمير الغائب " تداركه، عليه ، تعاروه ..." إلى ضمير المتكلم الحاضر " وطني" ثم ينتقل من ضمير الحاضر المتكلم إلى ضمير الغائب مرة أخر " ترابه، سواه " وهذا الانتقال المستمر هو من باب دفع الملل عن سمع القارئ، وكسر النمطية في التعبير وخاصة إذا طال الكلام كما هو حاصل في المثال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن هذا الالتفات يكون من باب لفت الانتباه عن طريق الخروج عن رتابة التعبير، فيلفت ذلك انتباه السامع، ويمكن أيضا أن يكون من باب تقديس الغائب بتقريبه للحاضر، وفيه تقريب نفسي لهذا الغائب . بعد كل هذا لا بد من الحديث عن بنية الجملة في النص فالجملة هي المتتالية الأكبر التي تجمل كل من الفعل(الزمن) والضمير.

ث- دراسة بنية الجملة الخبرية والإنشائية :

إن الحديث عن الجملة الخبرية يحتم علينا التعريج على الجملة الإسمية والفعلية، وقد لاحظنا بوضوح في النص التباين الواضح بين حضور الجملة الفعلية والجملة الإسمية، فقد كان الفرق الحضور بينهما كبير، إذ قل استعمال الجملة الإسمية على حساب الجملة الفعلية، حيث وردت الجمل الإسمية في النص للدلالة على الثبات لأنه كانت في سياق وصف الواقع وتشريحه، ورغم قوة الوصف ، إلا أن انفعالات الشاعر العاطفية كانت أكثر ثباتا و رزانة، ويمكن أن نستحضر قول الشاعر هاهنا مثلا[8] :

وَ الإِنْتِمَـــاءُ بِـــلاَ انْـــتِمَاءٍ وَاضِـــحٍ ... وَ الشِّـعْرُ .جَـلَّ الشِّـعْرُ .لَعْـقٌ بِـالفَمِ
وَ الفَحْـــلُ عِـــنِّينٌ يَنُـــبُّ مُـــشَاغِبًا ... وَ فَصِـيحُهُمْ يَهْـذِي "كَـأَعْجَمَ طَمْطَـمِ"

حيث يصف الشاعر حال الشعراء الذين غيروا انتماءهم باسم الحداثة فما عاد لهم انتماء واضح فلا هم أنصار قبيلة كما حال الشاعر القديم، ولا هم أنصار أوطانهم، فلا انتماء لهم، أما شعرهم ما هو إلا كلام فارغ لا فائدة منه، وأما فحلهم و أفضل شعرائهم فإن لا فحولة له بالمرة لأنه عاجز لا يستطيع غير الصياح، وفصيحهم كالمجنون يهذي بكلام غير مفهوم كالأعجمي لا يعرف لغة العرب.

ومن جهة أخرى فالجملة الفعلية التي كان لها نصيب أوفر واكتسحت النص، لاحظنا أنها جاءت معبرة على انفعالات عديدة وعلى عاطفة ثائرة، تهب وتعصف، نتيجة الحركة الزمنية فيها فإن وقعها يكون أكثر تأثيرا على المتلقي بسبب النقلات الزمنية التي تحدثها بين حاضر وماضي ومستقبل، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال هذا المقطع :

وَطَنِي وَ أَنْتَ تَعُبُّ مِنْ نَفْطِ الصَّحَارَى ... لاَهِيًا عَنْ عِلَّتِي وَ تَأَلُّمِي
وَ نَسَيْتُ أَنِّي صَابِرٌ وَ مُصَابِرٌ " ... سَمْحٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ"
وَطَنِي وَ لَمَّا رَأَيْتُكَ سَادِرًا ... أَقْفَلْتَ سَمْعَكَ دُونَ رَأْيِي الْمُحْكَمِ
قَطَعْتُ شِرْيَانِي عَلَى كُرْهٍ ، وَ فَتَحْتُ شَلاَّلَ الدَّمِ ... لِتَفْهَمَ عِلَّتِي
فَتَحَطَّمَ القَيْدُ الَّذِي كَابَدْتُهُ ... وَ تَفَجَّرَ الصَّبْرُ الَّذِي لَمْ يُفْهَمِ[9]

نلحظ شدة انفعال الشاعر وتنقله المستمر بين الأزمنة والأفعال، حيث نرى الأفعال تتسلسل بانفعال وهو ما يعبر عن نظرة الشاعر لوطنه الذي يراه غير مبال بشعبه يقفل سمعه عن أوجاعهم وآلامهم يستمتع بأموال النفط لاهيا، ثم ينتقل إل مجموعة من ردود الفعل على هذا الفعل : قطعت، لتفهم، فتحت، تحطم، تفجر، فلمّا انفعل الشاعر كذلك فعلت لغته، إلّا أن حديثنا هذا لا ينكر التكامل بين الجملة الفعلية التي تقدم الواقع وتنفعل معه والجملة الإسمية التي تصفه وتشرحه، وهذا يتناغم وما وجدناه سابقا عن بنية الحضور وتركيز الشاعر على واقعه المعيش وحاضره الماثل أمامه . أما عن الجملة من حيث الإنشاء والإخبار فقد وجدنا من خلال الإحصاء في جدول سابق أن الشاعر قد غلّب الجملة الخبرية عن الإنشائية، وهذا يتوافق ويتجانس وتغليب الجملة الفعلية من الجهة الأخرى، فرغم تعدد الأغراض الجملة الخبرية في النص إلا أن التقريرية كانت سيدة الموقف.

وقد جاءت الأساليب الخبرية كما وضحنا جلها إن لم يكن كلها في سياق الإخبار عن الواقع، أما الأساليب الإنشائية فقد قلت في نص العنترية، وانحصرت في الاستفهام والأمر و النهي و النداء، والغرض منها هو لفت الانتباه وإثارة ذهن المتلقي لدرء الملل عنه.

ج- دراسة البنية الثقافية :

- **النص الغائب :**

إن النص الشعري كبنية لغوية هو حصيلة تقاطعات لنصوص لغوية أخرى قابعة في ذاكرة الشاعر، إذا فالنص الشعري هو حصيلة جمع بين عدد من النصوص لا حصر لها أدبية ربما أو علمية تراثية أو دينية ... فكل نص شعري كما تقول جوليا كرستيفا: " هو ترحال للنصوص وتداخل نصي في فضاء نص معين، تتقاطع ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[10]

فالنص الشعري هو حلقة ضمن سلسلة لا متناهية من النصوص الأخرى. ويمكن أن نلاحظ بوضوح في مرات وبشكل أقل وضوح في مرات أخرى، وجود هذا النص الغائب الحاضر بين ثنايا قصيدة العنترية حيث أننا من خلال تحليلنا توصلنا إلى ما يلي :

- حضور كبير لمعلقة عنترة بن شداد ولنصوص شعرية قديمة أخرى.
- استخدام الشاعر لألفاظ وتراكيب لغوية من القاموس اللغوي القديم.

إن الذاكرة الشعرية في النص حاضرة بشكل كبير، حيث يختصرها الحضور المتكرر لمعلقة عنترة بن شداد، فالشاعر دمج النص الغائب في بنية شعرية جديدة ليكسبها دلالة أخرى دون قصد الاجترار فيصبح النص الغائب حاضرا وواضح في أحيان والعكس في أحيان أخرى، والشاعر عيسى لحيلح قد حرص عند توظيف هذا النص الغائب بشكل واضح بالإشارة إليه بشولتين ونمثل لهذا بقول الشاعر:

هَــلْ غَــادَرَ الشُّــعَرَاءُ مِــنْ مُتَــرَدِّمِ "؟ أَعِــدِ السُّــؤَالَ .. كَأَنَّــنِي لَــمْ أَفْهَــمِ[11]

ويقول عنترة بن شداد:

هَــلْ غَــادَرَ الشُّــعَرَاءُ مــن مُتَــردَم أم هــل عرفــت الــدار بعــد تــوهم
أعيــاك رســم الــدار لــم يــتكلم حتــى تكلــم كالأصــم الأعجــم[12]

حيث نلاحظ أن النص الأول يتناص عن طريق الاقتباس بالنص الثاني ويدمجه في تركيبه دون أن يكون في الأمر إعادة لما قال عنترة، فالنص الأول أكسب النص الغائب معان جديدة بإعادة تركيبه ضمن تركيب شعري جديد ،فالشاعر قد قلب معنى بيت عنترة جذريا من كونه مقدمة طللية تقليدية، إلى مساءلة واستفهام حقيقي عن الشعراء ووجودهم .

ولم يعتمد الشاعر في نصه على نص معلقة عنترة فحسب بل أيضا على معلقة زهير ابن أبي سلمى ولكن كان لمعلقة عنترة نصيب الأسد لأنه وكما أشرنا سابقا الشاعر في نصه يقدم معارضة معها. وبين كل هذا يمكن ملاحظة حضور ألفاظ وتراكيب شعرية قديمة، منها الألفاظ الدالة على الطلل نبينها في الجدول الآتي :

ألفاظ وتراكيب شعرية جاهلية	ألفاظ الطلل
الفحل عنين -أعجم طمطم- القيان – السيف -الطعن -استرضعن أن القشعم - القنا	متردم – دار عبلة – الجواء- أرسم- تقادم عهده- الصمان- المتثلم- عنيزتين- الغيلم

وهذا يدل على تشبع الشاعر بالثقافة العربية وتأثره بها، وهو دليل أيضا على أن الشاعر يرى في لغة الشعر العربي القديم نموذجا له يقيس عليه أدبه، ويدفعه لذلك إيمانه بالتراث العربي و تعلقه به واعتباره مقدس وكنز يجب العودة إليه و إعطائه حقه في ظل الحداثة وما أحدثته في الشعر العربي ، ويبدي الشاعر صراحة في نصه عدم إعجابه بالحداثة، فهو ينكرها على شعراء عصره في قوله :

يتقيـــؤون حاشـــاك شـــعرا غائمـــا مـــــر مذاقتـــــه كطعـــــم العلقـــــم
باســـم الحداثـــة هـــدموا وتهـــدموا وتبخـــروا وســـط الكـــلام المعـــتم
وتواقحـــوا باســـم الحداثـــة .. ويحهـــم لـــم يبـــق شـــيء عنـــدهم بمحـــرم[13]

بهذا فإن البنية الثقافية يسيطر عليها الماضي متمثلا في التراث الشعري العربي الجاهلي خاصة، وهذا لا يتناقض وما وجدناه سابقا، فالشاعر يرى حاضره بعين الماضي، فلما كان رافضا لهذا الحاضر متألم منه، يستنكره ، كان الماضي هو ملجؤه، ولا هوية لمن لا ماضي له، فالشاعر رأى حاضره لا يعبر عن هويته، فما كان منه إلا أن يستحضر الماضي ويذكر بهويته، وهو ما يجعلنا نقول أنّه يقوم على ثنائية ضدية كبرى متمثلة في : الحاضر\ الماضي .

ثنائية الحاضر\ الماضي: نقصد بالماضي كل ما يرمز للماضي سواء أكان ماض أدبي أو ثوري ... وكذلك نقصد بالحاضر كل ما يرمز له ليس الأدبي فحسب بل كل ما هو حاضر، بحيث يمكن أن نقول :

الحاضر= الحداثة الماضي= التراث

وقطبا هذه الثنائية هما في الحقيقة في صراع دائم عبر العصور، وداخل المجتمعات، فلو نظرنا للأمر فإن هذه الثنائية يمكن التعبير عنها بالثنائية الضدية:(القديم و الجديد) ، حيث تبرز هذه الثناية بشكل صارخ في كل النص من الخارج (الشكل)إلى الداخل (اللغة)، وقد سجلنا الملاحظات الآتية :

- اختيار الشاعر للشكل العمودي التقليدي ومعارضة نص عنترة .
- مضمون النص يعبر عن حاضر الشاعر الشعري و حاضر وطنه السياسي .
- الشاعر اختار التعبير عن حاضره من خلال القاموس اللغوي قديم .
- اعتزاز الشاعر بالتراث السياسي للوطن متمثلا في الثورة وأمجاد الشهداء .
- تأسف الشاعر على حاضر وطنه الدامي الذي لا يشبه ما كان عليه في شيء .

فلا شك أن الشاعر يعيش ويعايش واقعه الأدبي متمثلا في الحداثة الأدبية وواقعه السياسي متمثلا في الصراع السياسي الدامي داخل الوطن (أزمة الإرهاب) ولكنه يقف متفرجا عليه بعيون تراثه الأدبي والسياسي الذي تقادم عهده، فالواقع هو حاضر الشاعر الذي يحركه ويتفاعل معه ويؤثر فيه، أما الماضي فهو موجود، حاضر، يعيش في ذهن الشاعر ينظر لواقعه من خلاله ويبحث عنه فيه .

2. **مرحلة التفسير(من السطح إلى العمق) :**

- **الوعي القائم و الوعي الممكن:**

نجد أن الشاعر واع بواقعه ومشكلاته، وهو ما دفعه لتشريح هذا الواقع و تحدث عن مشكلاته من خلال نصه، فقد وضح أن شعراء عصره قد أساؤوا توظيف الحداثة وجعلوها مبررا لترك انتمائهم لوطنهم ومناقشة قضاياه، ولهذا نجده يستحضر التراث الأدبي كملاذ آمن له يحيي من خلاله تاريخ فحول الشعر العربي، و بهذا يرى أن هؤلاء قد تملصوا من تراثهم وأصلهم وعليهم العودة . ومن جهة أخرى نجده متحسر قلق على حال الوطن الذي عاث فيه الأعداء فسادا طمعا حتى أصبح حديث وشغل سادة الوطن النفط والثروات لاهين عن ما يحصل فيه من سفك دماء و تقتيل مشيرا لأحداث العشرية السوداء وما خلفته في نفوس الشعب الجزائري ، و يعود بهم الشاعر للماضي للثورة عندما كان الشغل الشاغل هو حرية الوطن والنهوض به، ويوصي بضرورة العودة للتراث العربي من جهة ويذكر الشعراء بحق الوطن عليهم لأهمية الالتزام بقضاياه و قضايا الشعب، ويذكر من جهة أخرى بميثاق الثورة الجزائرية ثورة الشعب و الإنسان، وربما هي دعوة ضمنية للقيام بثورة تغيير أخرى، فهو يستشرق للوطن ثورة أخرى تنتزعه مما هو فيه .

- **رؤية العالم :**

مثّل النص من خلال مضامينه و أبعاده الدلالية مرآة عاكسة لحال مجتمع الشاعر بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد استطاع من خلال نصه ترجمة موقفه وموقف فئته إزاء حال الأدب و الوطن و المجتمع فجاءت رؤيته بين المأساوية و الثورية :

الرؤية المأساوية (مأساة الشعر وبؤس الوطن والشعب) :

عمد الشاعر لتصوير مأساة الشعراء الذين انقسموا وتفرقت كلمتهم يلهثون وراء الدرهم والجوائز، وباسم الحداثة حطموا قداسة الشعر، فخرجت قصائدهم بلا انتماء ولا التزام ، فهم كالدونكيشوت يتوهمون المجد في حين أنهم بائسون، يكتبون للقيان قصائدا ولا يرون الشعب الذي يأكله الجوع في حسرة، ففي حين كان الشعب يعاني الظلم والفقر والظلم وأصحاب الرأي منكبون على النفط وملأ بطونهم لا يعلمون عن حال الشعب شيء ولا يكترثون، كان الشعراء أيضا

مشغولين عنهم بمجدهم الوهمي، وهنا يظهر رأي الشاعر الصريح في وظيفة الأدب، فالأدب عنده ينطلق من الواقع ومشكلاته وهو صوت الشعوب المستضعفة، ولا أدب بعيد عن هذا الالتزام.

الرؤية الثورية (ثورة من أجل التغيير) :

لم يرض الشاعر عن واقع الشعر في زمنه ولا عن واقع الوطن، ولهذا نجده في كل مرة يعود لماضي يناظر به الحاضر ويستشرف به المستقبل، وهذه المقارنة هدفها بيان المفارقة والفجوة بين ماضي الأمجاد وحاضر الضعف، وهذا ما جعله يستحضر شخصية عنترة بن شداد ويناجيه في نصه، فعنترة هو المقابل الموضوعي للماضي الأدبي العظيم الذي كان عليه الشعر والشعراء العرب أيام العرب قديما، حين كان الشاعر لسان قومه وناقل همومهم، وعنترة أيضا هو صورة المجد والثورة على الواقع و السائد، فهو من راح بسيفه يستبسل في الدفاع عن قوم أنكروه للونه، وكذلك الشهداء وتضحياتهم التي أنكرها أصحاب الأمر في البلاد ونسوا سبب تضحياتهم وباعوا الوطن مقابل النفط ومال، كل هذا يرفضه الشاعر ويثور عليه ويدعو لتغيير الحاضر وبناء المستقبل بالرجوع للماضي وأمجاده، فرؤيته الثورية جاءت من أجل تغيير هذا الواقع الثقافي والسياسي.

خاتمة :

- نخلص بعد هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :
- يشكل نص العنترية بنية واحدة متماسكة .
- في تحليلنا لبنية الزمن تبين أن الحاضر يشكل أساس النص حيث استطاع الشاعر من خلاله تشريح واقعه ، يأتي الماضي في رتبة بعده ليشكلا مع بعضهما مراوحة بين الواقع وما هو عليه و ما كان عليه .
- في تحليلنا لبنية الضمير تبين أن ضمير الحاضر يشكل بنية أساسية في النص وهو ما جعلنا ندرك ونفهم انفعال وتفاعل الشاعر مع واقعه، وقد كان لضمير الغائب أيضا حضور بارز أين كان الشاعر يغادر للماضي ويعود وأيضا حين أراد توضيح ابتعاد شعراء عصره عن الواقع.
- الجملة الفعلية والخبرية لها نصيب الأسد في النص وهو ما يعبر عن شدة تأثر الشاعر بحال واقعه السيء وشدة انفعاله بما يدور حوله.
- حضور كبير ومتنوع للتراث الشعري خاصة ما يتعلق بمعلقة عنترة بن شداد العبسي وهو ما يبرره معارضة الشاعر لها، وهذا ينم عن تشرب الشاعر لتراثه و تمسكه واعتزازه به.

- ثنائية الحاضر والماضي لعبة دورا كبيرا في بناء أساسات النص حيث لا ينفك الشاعر يراوح بين طرفاها وهو ما يجعلنا نقول أن الشاعر يرى في ماضيه معادل موضوعي يحن إليه و يستأنس به و يرى فيه أملا للغد الأفضل.
- الرؤية المأساوية والرؤية الثورية قناة عبر الشاعر من خلالهما عن استيائه ورفضه لواقع يسوده البؤس والمعاناة.

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة عنت 10\295.

[2] عبد الله عيسى لحيلح، عنتريات، الملتقى الوطني الثالث للشعر الفصيح توظيف الثقافة الإسلامية في الشعر الجزائري المعاصر، مديرية الثقافة لولاية الوادى(الجزائر)، مارس 2011، ص 83-84.

[3] عبد الله عيسى لحيلح، مرجع سابق، ص86-87.

[4] نفس المرجع السابق، ص90.

[5] تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، دط، 1994م،ص102.

[6] عبد الله عيسى لحيلح، نفس المرجع السابق، ص84.

[7] نفس المرجع السابق، ص86-87.

[8] عبد الله عيسى لحيلح، مرجع سابق ، ص 86.

[9] نفس المرجع السابق، 87.

[10] جوليا كرستيفا، علم النص تر فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص21.

[11] عبد الله عيسى لحيلح، مرجع سابق، ص 83.

[12] أحمد أمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر، دط، 2005م، ص122.

[13] عبد الله عيسى لحيلح، مرجع سابق، ص84.

قائمة المصادروالمراجع :

1.أحمد أمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر، دط، 2005م، ص122.

2.ابن منظور، لسان العرب مادة عنت 10\295.

3.تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، دط، 1994م،ص102.

4.جوليا كرستيفا، علم النص تر فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص21.

5.عبد الله عيسى لحيلح، عنتريات، الملتقى الوطني الثالث للشعر الفصيح توظيف الثقافة الإسلامية في الشعر الجزائري المعاصر، مديرية الثقافة لولاية الوادى(الجزائر)، مارس 2011، ص 83-84.